

التبيان في تفسير القرآن

(65) سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق) (181) - آية
بلاخلاف - . قرأ حمزة وحده (سيكتب) بضم الياء . الباكون بالنون . ذكر الحسن وقتادة: أن
الذين نسبوا إلى تعالى إلى الفقر وأنفسهم إلى الغناء هم قوم من اليهود لما نزل قوله: (من
ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) (1) قالوا إنما يستقرض الفقير من الأغنياء ، فهو فقير ونحن
أغنياء ، والقائل لذلك حي بن أخطب وفنحاص اليهودي . وقال أبو علي الجبائي: هم قوم من
اليهود ، وإنما قالوا ذلك من جهة ضيق الرزق . وقيل: أنهم قالوا ذلك تمويها على ضعفائهم
لأنهم اعتقدوا أن الله فقير على الحقيقة . وقيل: أنهم عنوا بذلك إله محمد الذي يدعي أنه
رسوله دون من يعتقدون هم أنه على الحقيقة . فان قيل: كيف الحكاية عنهم بأنهم قالوا ذلك ،
وإنما قالوه على جهة الإلزام دون الاعتقاد؟ قلنا: لأنه إلزام باطل من حيث لا يوجبه الأصل
الذي ألزموا عليه ، لأنه إنما قال تعالى: (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) على وجه التلطف
في الاستدعاء إلى الطاعة ، وحقيقته أن منزلة ما ينفقون في وجوه البر كمنزلة القرض الذي
يرجع إليكم ويضاعف به الاجر لكم مع أنهم أخرجوا ذلك مخرج الاخبار عن الاعتقاد . وفي الآية
دلالة على أن الرضا بقبيح الفعل يجري مجراه في عظم الجرم ، لان اليهود الذين وصفوا بقتل
الانبياء لم يتولوا ذلك في الحقيقة ، وإنما ذموا به ، لانهم بمنزلة من تولاه في عظم الاثم .
وقوله: (سنكتب ما قالوا) قيل في معناه قولان: أحدهما - انه يكتب في صحائف أعمالهم ، لأنه
أظهر في الحجة عليهم وأجرى ان يستحيوا من قراءة ما أثبت من فضائحهم - على قول الجبائي
- . (1) سورة البقرة: آية 254 وسورة الحديد: آية 11.